القراءة الثالثة :

السالمي
« المجتهد المجدد »

إعداد / فضيلة الشيخ ناصر بن محمد المرموري

التقديم :

الحمد لله الذي أوضح معالم الهدى، ولم يترك الناس سدى، بل أرسل رسله بالهدى ودين الحق، وأيدهم بدلائل الصدق، حتى يكونوا هداة للخلق، وختمهم بامام المرسلين، وقائد الغر المحجلين، فأنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، واتاه الحكمة وفصل البيان، فدعا الى سبيل ربه حتى أتاه اليقين، فالتحق بالرفيق الأعلى، وقد خلف فينا ما إن تمسكنا به لن نضل أبداً، كتاب الله وسنته المبينة، ثم قام بالأمر بعده، العلماء ورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل، فنهضوا بمسئولية التبليغ والدعوة من بعده، ولم يألوا جهداً في الإرشاد والتبيين، ولا يزالون يتوارثون الأمر، خلفاً عن سلف، وكذلك كتب الله على نفسه الرحمة، على هذه الأمة، أن يهيء لها من أمرها رشداً، فكان يبعث فيها على رأس كل قرن عالماً يجدد لها أمردينها ، يدفع عنه تأويل الجاهلين المبطلين، وانتحال الغالين، أولئك أقمار الدجى، وشموس الهدى، كلما خلا منهم سلف حميد، قام منهم خلف رشيد، يقيم حجة الله على عباده وينير الطريق لرواده ويهيء حوض العلوم لوراده، في مواكب يقتفي لواحقها بسوابقها، وقوافل تترى كلما مضت أوائلها تبعتها في نهجها القويم أواخرها، تلك هي منة الله على عباده المؤمنين ، يبعث فيهم هداة مرشدين، ولايتركهم حيارى تائهين، وكان فضل الله عظيماً على المؤمنين.

ومن هؤلاء العلماء العاملين، ذلك الطود الراسخ، والعلم الشامخ، العالم النحرير، والمجتهد الكبير، والبدر المنير: نور الدين الشيخ أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي العماني ـ رضي الله عنه ـ وجازاه على خدمة العلم خير جزاء وأوفاه.

التعريف بالشيخ الســـالمي

ـ رحمه الله ـ

هو الشيخ العلامـة : نور الدين أبو محمد عبـدالله بن حميد بن سلوم السالمي، ولـد في بلدة الحوقين من أعمال الرستاق من أبـوين كريمين في عام (١٢٨٦هـ) ونشأ بها وتعلم القـرآن، وحفظه على والده حميـد بن سلوم بـن عبيد، وقـد رزقه الله حافظـة قويـة، فكان لايسمـع شيئاً الا ويحفظه، وقد كف بصره في السنة الثامنـة عشرة من عمره، فعوضه الله عنه نـوراً في بصيرته، فكان لايكـاد ينسى شيئاً مما حفظـه ويعيه فهماً وفقهاً وكان ذا عزيمـة قوية صارمة تفل الحديد فبـز أقرانه علماً وأدباً وفقهاً وتحقيقاً.

شيوخه والفنون التي أخذها عنهم:

وقـد التحق بالـرستـاق، ولازم مجالس علمائهـا الأفاضل يكـرع من مناهلهم الصـافية الغـزيرة، وكانت الـرستاق يومـذاك عامـرة بمجالس العلماء، فظل شيخنا ملازماً لهم حتى بعد ذهابه الى الباطنة، ومن هؤلاء وفي مقدمتهم: الشيخ ماجـد بن خميس بن راشد العبري، والشيخ راشد بن سيف اللمكي، والشيـخ محمـد الهاشمي، والشيخ محمـــد بن سيف الـرحيلي، والشيخ محمـد بن مسعـود البوسعيـدي، وقـد لازمهم اثنين وعشرين عـامـاً (٢٢) ، ثم انتقل من الرستـاق الى الشرقيـة، حين سمع بفضل العـالم الكبير: الشيخ صـالح بن علي الحارثي، فنـزل أول الأمـر ببلـدة المضيبي في جوار الشيخ سلطـان بن محمـد الحبسي، ثم انتقل الى القابل بلد الشيـخ صالح المذكور، وهناك استقر، وألقـى عصا التسيار ، فلازمه ست سنوات (٦)، الى أن وافـاه أجله، فخلفه بعده في نشر العلوم والـدعوة والارشـاد وأكثر مـا أخذ العلم عنـه، ويمكننا القـول إن نسب الدين في عمان، جاز على الشيخ السالمي على طريق شيخه صالح بن علي لكثـرة ما درس عليـه من فنون العلم، فقـد أخذ عنـه التفسير والحديث

وأصـول الـدين وأصـول الفقه والنحـو ، والصرف، والمعـاني والبيـان والبـديع والمنطق ، ثم بعد وفـاة شيخه ظل ينشر هـذه العلوم في طلبتـه الذين أصبحوا بعد أكثر شيوخ أهل عمان.

تلاميذه ومعاصروه في المشرق والمغرب:

لانبالغ اذا قلنا إن جل شيوخ عمان في القرن الرابع عشر (١٤) أغلبهم من تلاميذ الشيخ السالمي ـ رحمه الله ـ وفي مقدمتهم: الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، ومنهم: الإمام سـالم بن راشد الخروصي، ومنهم الشيخ نـاصر بن راشد، والشيخ عـامـر بن خميس المالكي، والشيخ عيسى بن صـالح الحارثي، والشيخ عبدالله بن محمـد أبو زيـد الريـامي، والشيخ سعود بن حميد، والشيخ محمد بن سالم الرقيشي، وابن غابش، وغيرهم كثير وكثير، انتشروا في القطر العماني انتشـار النجوم، ينشرون النـور ، ويهدون الناس الى صراط الله القويم.

ومن تلاميذه ولداه العالمان الشيخ حمد بن عبدالله والشيخ محمد أبو سليمان ـ رحمهما الله ـ .

مؤلفاته وآثاره :

ترك ـ رحمه الله ـ مؤلفـات كثيـرة في مختلف الفنون منها: في أصول الـدين منظومة في ثلاثمائة بيت من الرجز، سماها «أنوار العقول» وقد شرحها مرتين، شرحها شرحا مختصراً سماها: «بهجة الأنوار» ثم شرحاً مطولاً سماه «مشارق الأنـوار». وله أيضاً في التوحيـد قصيدة في سبعة وسبعين بيتاً جمع فيها قواعد التـوحيد وما لا يسـع المكلف جهله سماها صواب العقيـدة ، وله أيضاً منظـومة فى التوحيـد محكمة سماها «غـاية المراد في الاعتقـاد» ولـه أيضـاً في الموضـوع: «كشف الحقيقـة لمن جهل الطريقة» منظـومة. كما ألف في أصول الفقه ، فقـد نظم أرجوزة في ألف بيت سماهـا «شمس الأنـوار» في أصول الفقـه من أبـدع النظم وامتنـه

شرحها في مجلدين شرحاً ضافياً سماه «طلعة الشمس» . ومن مؤلفاته شرح مسند الإمام «الربيع بن حبيب» في ثلاثة مجلدات، وله في الفقه منظومة تنيف على ألفي بيت نظم فيها مختصر الخصال، للشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن قيس الحضرمي ــ رحمه الله ـ وشرحها في ثمانية مجلدات ضخمة في شرح بديع في فقه مقارن سماه «معارج الآمال على مدارج الكمال» انتهى فيه إلى الاعتكاف، وقد انتصف ماكان نوى أن يتمه، فقد كان ناوياً أن يجعله في ستة عشر مجلداً لو لم تعاجله المنية، وله في الفروع كتاب «تلقين الصبيان» ومن أجل مؤلفاته كتاب «جوهر النظام» في الأديان، وهو أرجوزة تنيف على أربعة عشر ألف بيت في أسلوب سلس محكم متين، قل أن يكون له نظير، وله في الفتاوى والمسائل كتاب: «العقد الثمين» في سبعة أجزاء.

ومن مؤلفاته كتاب «المنهل الصافي في العروض والقوافي» في أرجوزة شرحها شرحاً بديعاً ولم نستقص كل مؤلفاته، وانما ذكرنا منها ما تم طبعه وتناولته الأيدي.

وله أيضاً كتاب «الحق الجلي في سيرة صالح بن علي» وله كتاب «الشرف التام في شرح دعائم الإسلام» شرح فيه بعض قصائد ابن النضر صاحب الدعائم. ومن تآليفه كتاب قيم جمع فيه تاريخ عمان سماه: «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» جعله في جزأين، ويذكر له ديوان شعر بديع في منتهى البلاغة. وليست آثاره محصورة في تآليفه ورسائله وفتاويه نثراً أو نظماً ورجزاً ، بل كان غرسها غرسا طيباً فى قلوب تلاميذه، وأفكارهم، هؤلاء التلاميذ الذين انتشروا في كل مكان ينشرون العلم، ويخرجون الناس من ظلمات الجهل الى نور العلم، تقبل الله منهم، وجزى الله كلا من المعلمين والمتعلمين خير جزاء.

وفاتــه ومدفنـــه:

توفي الشيخ نور الـدين السالمي ـ رحمه الله ـ في بلـدة تنوف في شـهر ربيع الأول من عـام اثنين وثـلاثين وثـــلاثمائة وألف (١٣٣٢هـــ) من هجرة الرسول ﷺ، ودفن في البلد الذي توفي فيه بجنب قبر الشيخ حمير ابن ناصر النبهاني، وقـد توفي عن سن تناهز السـادسة والأربعين وكان سبب موته سقوطه من راحلتـه وهو ذاهب الى تنوف ليصلح خللاً وقع بينـه وبين شيخـه ماجـد بن خميس العبري من أجل فتـواه أي فتـوى الشيخ السالمي في الأوقاف التى وقفت على قـراءة القرآن على المقابر، انها ترجع الى الـورثة، فلما سمع الشيخ مـاجد بهذه الفتـوى غضب، فذهب اليه الشيخ السـالمي لإزالة ماحدث من الجفـوة وليصلح الخلل ،ويرجع العلائق الى ما كـانت عليه ـ فرحم الله الشيخين وجـازاهما عن الاسلام خير الجزاء، وكفانا شر الشقاق والخلاف.

وكانت وفاة الشيخ السالمي في نفس الشهر الذي توفي فيه قطب الأئمة الشيخ اطفيش ـ رحمه الله ـ وفي نفس العام الذي توفي فيه الشيخ التقي عبد الله بن يحيى البـاروني في جبل نفوسـة ـ رحم الله هـؤلاء الأقطاب الثلاثـة ـ وقد تهاطلت المراثي على الشيخ السـالمي ، وأجودها مـرثيتان للشيخ أبي مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي ـ رحمه الله ـ .

يصدر مرثيته الرائية بقوله:

ريب المنون مقـارض الأعـمار ... وحياتـنا تعدو الى المضمار
والنفس تلهو فوق تيار الردى ... ياليتـها حـذرت من التـيار
قرت على رنق وزخرف باطـل ... مثـل القـرار على شفـيرهار

وفيها يقول ـ رحمه الله ـ :

مالنـا نبـكي الفقـيد ونحـن من ... حـب الـذي أرداه في استهتار
شغف النفوس بما يراقبه الفـتى ... وأثر الهـوى وتغرة الأوطـار

وفيها يقول :

ماالهول من يوم النشور أشد من هول النعي بسيد الأبرار
العالم القطب المجدد عمدة العلـ ـعلماء طراً كعبة الأسرار
ليث المعارك مربع الفضل الذي رفع المنار ولات حين منار
حامي حمى الإسلام حجته معز الدين سيف الملة البتار
بحر المعارف والكمال مسدد الأعمـ ـال في الإقبال والإدبار
السالمي أبي محمد المنيف الذكـ ـر طود المجد بدر الساري

ويمضي في الانشاد حتى يقول :

يامن أذاب الصخر حر مصابه من ذا تركت لدولة الأحرار
وزعت بين الدين والوطن الأسى توزيعك الطاعات في الأطوار
ودعوت في الإسلام دعوة مخلص ثابت اليك بها ذوو الأبصار
ثابت اليك عصائب وهبية من أسد ذي يمن وأسد نزار

ثم يصدر القصيدة اللامية بقوله:

نكسي الأعلام يا خير الملل رزىء الإسلام بالخطب الجلل

وفيها يقول:

يارجال العلم أودى قطبكم بل جميع العلم أودى والعمل
فتكت بالسالمي المرتضى غارة شعواء ما عنها حول
عجباً من نعشه تحمله فتية وهو على الكون اشتمل
جمع العالم في حيزومه أثر العالم في القبر نزل

ويمضي فيها منشداً حتى يقول في أواخرها :

ما فقدناك وعرفناك في صفحات الكون ضوء يشتعل
إن رب العلم حي خالد ولو أن الذات بالموت انتقل
ما تركت الكون حتى تركت خطة الحمد لك الحمد الجلل

وأقول مع القائلين:

لله ما حويت ياتنوف ضممت بحرا دره صنوف
شمس العلوم مالها كسوف وأزور فيك نورها المعروف
لكن جلا ضياءها التأليف فيه الهدى والنور والكشوف
أضفى عليك ربنا الرؤوف سحائباً وابلها وكوف
وغمرتك بالرضى ألوف من رحمات ربنا تطوف

مميزاته ومنزلته بين العلماء:

لقد كان الشيخ السالمي ـ رحمه الله ـ ورضي عنه ـ على جانب عظيم من العلم والفقه والسداد وحسن النظر، فهو معدود من العلماء المجتهدين دوي الفهم والبصائر، وفي مثله يقال: «كم ترك الأوائل للأواخر» فهو من المجددين الذين جاء الحديث في وصفهم «ان الله يبعث في هذه الأمة على رأس كل قرن عالم يجدد لها أمر دينها، ينفي عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

لقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ كوكبا درياً بين أقرانه العلماء، يمتاز بمميزات ظاهرة لاتنكر، يظهر ذلك في مؤلفاته مثل : شرحه لمسند الإمام الربيع بن حبيب، وفي كتاب «معارج الآمال» الذي هو موسوعة علمية، ذات قيمة فاخرة، وفي فتاويه التي حررها أحسن تحرير، وقررها على الدليل الصحيح والمنطق السليم، أيما تقرير فلنأخذ لذلك مثلاً، شهادة ثلاثة من أفاضل علماء عصرنا، وهم : الشيخ أبو اسحق في تقديمه على جوهر النظام، والشيخ عز الدين التنوخي في تقديمه على شرح الشيخ

للمسند في الحديث، والشيخ محمد محمد الدهان، في تعقيبه على الجزء الأول من فتاوى الشيخ السالمي ـ رحمه الله ـ.

كلمة أبي اسحاق ابراهيم اطفيش:

ظهر ذلك العلم الفخم، أحد أقطاب العلم المجتهدين العلامة، المحقق: نور الدين أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي، كان معروفاً بغزارة العلم والاجتهاد، اليه انتهت رئاسة العلم بما بلغنا بعمان، وظهر ذلك في تآليفه الجمة في مختلف الفنون الشرعية، والعربية، وهو من أهل التحقيق والاجادة في التأليف، كان ـ رحمه الله ـ ضريراً قوي الذاكرة في منتهى الذكاء والفطنة، ذكر تحدثاً بنعمة الله، في بعض تآليفه، أنه وقع أمامه حادث وهو في المهد، ولما كبر ذكر مابقي في ذهنه لوالديه، فحسبوا ما مضى من أيامه، فاذا هو ابن عشرين يوماً (ان لم تخني الذاكرة) وكان شديد اليقظة على تطورات الأمة بعمان ـ أقول وفي سائر البلاد الإسلامية ـ .

كلمة الشيخ عز الدين التنوخي ـ رحمه الله ـ :

يقول الشيخ عز الدين التنوخي في مقدمة شرح المسند: «ويفهم من شرح هذا المسند أن الشارح من المستمسكين بالحديث الصحيح، وأرباب العقل الراجح والمعظمين للرسول ﷺ في أقواله، والمهتدين بسنته وأفعاله، فهو في شرحه لهذا المسند يمحص أقوال العلماء، ويختار على أقوال أهل المذهب ما صح من حديث الرسول ﷺ فليس هو ممن يرى العمل على الفقه لا على الحديث، قال «شارح الصراط المستقيم» : اذا وجد تابع المجتهد قولاً صحيحاً مخالفاً لمذهبه هل له أن يعمل به، ويترك مذهبه؟ فيه اختلاف. فعند المتقدمين له ذلك. قالوا: لأن المتبوع والمقتدى به هو النبي ﷺ ومن سواه فهو تابع له، فبعد أن علم وصح قوله ﷺ فالمتابعة لغيره غير معقولة، قلت : ولذلك لايجوز التعصب للمذاهب

تعصباً يستهتر به، بحديث الرسول ﷺ فان ذلك من الفسق، والبعد من الدين، والخروج على سيرة الصحابة والتابعين ومن هؤلاء المتعصبين الجامدين كما يقول بعض الأئمة من اذا مر عليهم حديث يوافق قول من قلدوه انبسط، واذا مر عليهم حديث يخالف قوله أو يوافق مذهب غيره، ربما انقبضوا ولم يسمعوا قول الله تعالى ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾.

وماكان أهل عمان أقرب فرق الخوارج الى أهل السنة، الا أن مذهبهم كما اطلعت عليه مبني على السنة وتقديم العمل على الحديث لا على الفقه والمذهب عملاً بما جرى عليه امامهم جابر بن زيد الذي عمل بنصيحة شيخه عبدالله بن عمر الذي روى عنه.

فقد جاء في الحجة البالغةأن ابن عمر قال لجابر بن زيد: «انك من فقهاء البصرة فلا تفت الا بقرآن ناطق، وسنة ماضية، فانك ان فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت» ، ولذلك نعتقد ونقول : ان المعقول ومن القلب المقبول أن لانهتدي الا بقوله تعالى ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ﴾ ، انتهى.

ويقول الشيخ محمد محمد الدهان :

في تعليقه على الجزء الأول من فتاوى الشيخ السالمي ما نصه: «وبعد فقد رغب إليّ الأخ الصادق في محبته، المخلص في صحبته العلامة الشيخ سالم بن حمد الحارثي بالإشراف على طبع وتصحيح كتاب: «العقد الثمين» ، للعلامة الجليل فخر المتأخرين وسابق المتقدمين الشيخ أبي محمد عبدالله بن حميد السسالمي، فشكرت له حسن ثقته وبدأت أطالع هذا الكتاب المبارك فوجدت نفسي أمام موسوعة نادرة في شتى مجالات العلم وألوان المعرفة، تجلت فيها شخصية المؤلف الفذة، وإدراكه

الشامل، وبصيرته النيرة، وعقله الكامل ، ولا غرابة في ذلك، فانه رغم حداثة سنه، وفقد بصره، خلف جيلاً من أكابر العلماء، ترجع اليهم الأمة في شؤون دينهم، وأمور دنياهم، وزود المكتبة الإسلامية بالكثير من الكتب القيمة، والمؤلفات النافعة ...اهـ.

اجتهاده وتجديده وأمثلة أخرى:

لقد كان الشيخ السالمي ـ رحمه الله ـ مجتهداً محققاً، مجدداً، لايرجح من الأقوال إلا ما أيدته الدلائل من الكتاب والسنة الصحيحة أو الإجماع أو القياس الصحيح، أو الاستدلال والاستحسان، والمصالح المرسلة، المعتبرة في موازين الشرع الحنيف، التي تحقق مقاصد الشريعة الإسلامية، وكل كتاباته ناطقة بذلك، ماكان منها نثراً وما كان نظماً، ولئن أتينا بنماذج من ذلك فلغرض التمثيل لا الحصر، وهذا نموذج من نظمه الذي يقول فيه:

وربما أخالف المشهورا ... وأذكرن ما.لم يكن مذكوراً
لأنني أقفو الدليل فاعلما ... لم أقتصر على مقال العلما[1]
فالعلماء استخرجوا مااستخرجوا ... من الدليل وعليه عرجو
فهم رجال وسواهم رجل ... والحق ممن جاء حتماً يقبل

وفي الجوهر يقول الشيخ، : (فنحن)

فنحن حيث أمر القرآن ... لا حيثما قال لنا فلان

---

(١) يقول محقق الجوهر المعلق الشيخ أبو اسحاق ابراهيم اطفيش في تعليقه على هذا البيت: يخبرنا المصنف ـ رحمه الله ـ في هذه الأبيات تحدثاً بنعمة الله انه يستند على الدليل لا على كلام العلماء، ولا على مجرد الترجيح، شأن العلماء المجتهدين الذين نبذوا التقليد وراءهم ظهرياً، واعتمدوا على الإعتداد بالدليل. واستنباط الأحكام منه، وذلك مشاهد في تآليفه. ويشير في كلامه الى ماروي عن بعض من الصدر الأول، لما سئل فقال: ماجاء عن الله ورسوله فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة فبعضه مقبول وبعضه مردود، وماجاء عن التابعين، فهم رجال ونحن رجال، وليس الناظم ـ رحمه الله ـ ممن يسودون ويقولون نحن مؤلفون، ولا من الذين يتهوكون، ويحتطبون بالليل، ولكنه محقق ومدقق، جزاه الله عن العلم والدين خير جزاء، ونفعنا بتاليفه.

ويقول في تقديم الحديث على القياس:

نقدم الحديث حيث جاء على قياسنا ولا مراء

(جوهر النظام)

ويقول في المشارق:

والأصل في الفقه كتاب الباري إجماع بعد سنة المختار
والاجتهاد عند هذي منعاً وهالك من كان فيها مبدعاً
والرأي في غير الأصل جوزا وواجب أن نتحرى الأجوزا

(مشارق الأنوار) ـ باب العلم ـ

نماذج من فقهه من خلال مؤلفاته وفتاويه:

لقد كان الشيخ السالمي ـ رحمه الله ـ معجباً بأهل التخريج والتفريع، والتحقيق، من علماء المذهب، مثل : الشيخ أبي سعيد الكدمي، والشيخ أبي محمد عبدالله بن محمد بن بركة، والشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي، يسميهم أهل التحصيل.

وكان يقول في تحريه الأدلة، والتمسك بها، والإعراض عن التقليد (حسبك أن تتبع المختار، وإن)

حسبك أن تتبع المختارا وإن يقولوا خالف الآثارا

ولنأخذ أولاً نموذجاً من رأيه في الاجتهاد، يتبين منه مدى تعمقه في الفقه، وتحرره من قيود التقليد الأجوف، وتحريه في طلب الدليل (من العقد الثمين) جاء في فتاوى الشيخ في الجزء الأول منها مانصه : سئل الشيخ ـــ رحمه الله ـ عن قول الشيخ سليمان بن يخلف بأن الاجتهاد مخصوص بالنازلة التي لم تكن في الكتاب ولا في السنة، ولا في آثار المسلمين الذين كانوا قبل النازلة، كيف الوجه في ذلك، وكيف الذين لم

يكونـوا قبلها، لايجوز لهم الإجتهـاد وهي مسألة رأي مع أنـا شاهـدنا المسلمين يضربون صفحاً عن بعض الآراء الى ما رأوا.

فأجـاب ـ رحمه الله ـ قال : لاوجـه لما قالـه الا على رأي من يجوز للمجتهـد أن يقلـد غيره، وهو قـول ضعيف جـداً، بل الحق أن عليـه أن يستعمل اجتهاده، ويأخذ بما رأى في ذلك ، وهو أيسر القول والله أعلم.

وسئل عمن حفظ مسألـة من أثـر المسلمين أو من سـؤالـه للعلماء، أيجوز له أن يفتي بهما من جاء يسأله عنها، وهو محتاج اليها؟

فأجاب ـ رحمه الله ـ قـال: إن كان في الأرض مفت أعرف منه وأبصر بأمـر الدين، فـلا يفت مخافـة الخطر، وان كـان النـاس محتاجين اليـه ولايجدون من هو أعرف منه، فلابأس أن يعلمهم بما وجده في الأثر، أو أخذه من الأشياخ، والله أعلم. اهـ (من طلعة الشمس الجزء ٨)

ويذكر ـ رحمه الله ـ في معرض حديثه عن ضرورة علم أصول الفقه، وهو ينـدد بالجمـود، يقول في شرحـه للبيت الذي في منظـومته «شمس الأنوار» في أصول الفقه. :

وبعـد فالعلـم بفـن الفقـه منـدرج تحـت أصـول الفقـه

يقول في الشرح: وفن الفقه هو النوع المخصوص من العلوم، وسيأتي تعريفه في اضافة الفن الى الفقـه إضافة المسمى إلى اسمه، لأن الفقه اسم للفن المخصوص بما سيأتي ومنـدرج أي منطو، وأصـول الفقه علم على الفن ، وسيأتي تعريفه أيضاً، والمراد باندراج الفقه تحته هو أن معرفة الفقه متـوقفة على معـرفة أصـول الفقه، ولـذا قال صـاحب الايضـاح ـ رحمه الله تعـالى ـ : «من لم يتحكـم على الأصـول قلما تتحصل عنـده الفصول». وقـال بعضهم: «مامنعهم من الوصـول إلا تضييع الأصول، فلما بطلوا تعطلوا» . ثم يستمر في شرحه ومناظراته، حتى يقول: «وأهل زماننـا تعذر عليهم الـوصول الى استنبـاط الأحكام من أدلتهـا، إلا بعد معرفة اصطلاحات الفن وممارسة قواعده وضبط علله وقوادحه إجمالا وتفصيلاً، وقـد رغب عن ذلك كثير من أهل زماننـا لجهلهم، بما فيه من

التحقيق، وصعوبة ما فيه من التدقيق فقصارى متفقههم حفظ أقوال الفقهاء، وغاية نباهة أحدهم رواية ما قاله النبهاء، لايدرون غث الأقوال من سمينها، ولا خفيفها من رزينها، قد حبسوا في التقليد المضيق، عن فضاء التحقيق، وليتهم لما وقفوا هنالك عرفوا منزلتهم بذلك، ولم يدع احدهم منزلة ابن عباس، ويقول: «ايها الناس فإنا لله وإنا اليه راجعون، فذهب العلم وأهلوه، وبقى الجهل وبنوه،» اهـ.

ومن طلعة الشمس أيضاً (الجزء الثاني) ، ويقول ـــ رحمه الله ـ في باب الاجتهاد في أواخر الجزء الثاني من كتابه (طلعة الشمس):

وإن أطاق الاجتهاد حَرُمَا عليه تقليد سواه فاعلما
وقيل لا يحرم حتى يجتهد بعد الاجتهاد فالمنع يرد
وقيل بل يجوز مطلقاً وفي هذا من البطلان ما لايختفي
وقيل إن كان صحابيا يصح وقيل لا وهو المقال المتضح
وقيل إن كان يفوت العمل بالاجتهاد جاز وهو الأسهل

وهو يقول في الشرح: لايصح ان أطاق الإجتهاد في شيء من المسائل الظنية أن يقلد غيره فيها، ولو كان الغير أعلم منه، أو صحابياً، بل يجب أن ينظر لنفسه ما هو الحق في حقه، ويحرم عليه تقليد غيره، سواء اجتهد في تلك الحادثة، فظهر له الرابح فيها، أم لم يجتهد، ويمضي في الشرح الى أن يقول: وقال محمد بن الحسن: يجوز تقليد الأعلم فقط، لأن الظن بصواب من هو أعلم منه، أقوى من الظن بصوابه ورد بأنه رجوع من الواضح الى المشكل، وقيل انه يجوز تقليد الصحابي لاغير، لقوله ﷺ : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». ورد بأن ذلك، انماهو في حق من يصح له التقليد، أما المجتهد ففرضه العمل باجتهاده، وقال ابن بركة: تقليد الصحابي جائز في بعض الأحكام، ثم قال بعد : يجوز تقليد الواحد منهم إذا قال قولاً ولم ينكر عليه غيره، وأما اذا علم له مخالف فلا» .. إلخ.

من شرحه للمسند (جزء ٨) ما جاء في الرقعة في الصلاة ـ أبو عبيدة عن جابر بن زيد، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا ثوب للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وآتوها وعليكم السكينة والوقار، وما أدركتم فصلوا، ومافاتكم فاقضوا ، فان أحدكم في صلاة ماكان يعمد الى صلاة».

يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ في أثناء شرحه للحديث: «قوله وما أدركتم فصلوا» أي مع الإمام، وفي رواية بالفاء قوله : «ومما فاتكم فاقضوا» أي فأدوا كما أمرتم، وهو معنى الإتمام، وفي رواية أبي قتادة، فان أكثرهم رواة بلفظ«فأتموا» وروي أيضاً «فاقضوا» كما في رواية المصنف، والمعنى واحد، والأداء يسمى قضاء، ومنه قضاء الدين[1] ، وانما وقع الفرق بينهما في اصطلاح الأصوليين فقط، وهو اصطلاح جديد لايصح أن يحمل عليه معنى الحديث. فليس فيه حجة لمن قال: إنما أدرك هو آخر صلاته، ولا لمن قال، هو أولها، لكن يستفاد من قوله: «ومافاتكم» ، إن أول الصلاة قد فاته مع الإمام، فلم يدرك إلا ما بعد ذلك، فهو يصلي ما أدرك ويقضي ما فاته، والذي أدركه هو آخر صلاة الإمام فيلزم أن يكون آخر صلاته، لأنه به أمر، فهذا هو موضع الاستدلال ؛ لا في قوله: فاقضوا أو أتموا، كما وقعت عليه الأفهام حتى لاتجد مستدلاً بغير ما ذكرته من وجه الاستدلال كالنص على أن ما فاته أول صلاته، وما أدركه آخرها، والله أعلم، وبه التوفيق والتسديد». اهـ.

فأنت ترى هذه النكتة اللطيفة، والمعنى الدقيق، الذي يخفى على كثير من الناس ولا يتفطن له الا الفحول من العلماء، أولي السبق ، والتعمق في الفهم.

وفى شرح المسند أيضاً (الجزء ٣) ـ ماجاء في وجوب الحج على التراخي : ومن طريقه أيضاً أي ابن عباس: « أن رسول الله ﷺ لم يحج

---

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿ فإذا قضيت الصلاة، فانتشروا في الأرض ﴾ الآية (١٠) من سورة الجمعة.

الا بعـد عشر حجج من هجرتـه، ولا أنكـر على من تخلف عن الحج من أمته».

يقول الشيخ ــ رحمه الله ـ في أثنـاء شرحه لهذا الحديث: هـذا منه ـ رضي الله عنـه استـدلال على أن وجوب الحج على التراخي واستـدلا لـه بوجهين، أحدهما فعله ـ ﷺ ـ في تأخير الحج الى السنة العاشرة والثاني تقريـره وهو عـدم انكاره على المؤخرين، والقـول بالتراخي، هـو مذهب الجمهور، منا وبه قال الأوزاعي، وأبو يوسف، ومحمد والشافعي، وقال قـوم إنه على الفـور، وبه قـال بعض أصحـابنا، وأبـو حنيفة، ومـالك ، وأحمد، وبعض أصحاب الشافعي، وأجابوا عن الاستدلال المتقدم، انه قد اختلف في الوقت الذي فرض فيه الحج، ومن جملة الأقوال أنه فرض في سنة عشر، فلا تأخير، ولو سلم أنه فرض قبل العاشرة فتراخيه ـ ﷺ ـ انما كان لكـراهة الاختـلاط في الحج بأهل الشرك، لأنهم كانـوا يحجون ويطوفـون بالبيت عـراة، فلما طهر الله البيت الحرام منهم حـج ـ ﷺ ـ فتراخيـه لعذر، ومحل النـزاع التراخي مع عدم العـذر، وحجة القـائلين بـالفور حـديث ابن عبـاس. أن النبي ـ ﷺ ــ قال : «تعجلـوا إلى الحج (يعني الفريضـة) فإن أحدكم لايـدري ما يعـرض له» . رواه أحمد عن سعيد بن جبير عن ابن عبـاس عن الفضل، أو أحدهما عن الآخـر، قال: قال رسـول الله ﷺ : «من أراد الحج فليعجل فإنه قـد يمرض المريض، وتضل الراحلة، وتعرض الحاجة» رواه.

وعن الحسن قال: قـال عمر بن الخطاب: «لقـد هممت أن أبعث رجالاً الى هذه الأمصـار، فينظرون كل من له جـدة ولم يحج، فيضربوا عليهم الجزية مـا هم بمسلمين .. ما هم بمسلمين» رواه سعيـد في سننه، والله أعلم.

فأنتم ترون من خلال تعقيبـه هذا، ترجيح القول بفـورية الحج، ولو لم يقل به إلا ابن بـركة، من أصحابنا، وهـو القول الذي يؤيـده الدليل، والله أعلم.

ومن شرحه للمسند أيضاً (الجزء ٣):

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس، قال : اختلفت أنا وأبو سلمة بن عبد الرحمن، في المرأة الحامل، اذا وضعت بعد وفاة زوجها، بليال، قال: فقلت عدتها آخر الأجلين، فقال أبو سلمة إذا وضعت حلت فجاء أبو هريرة، فسئل فقال: أنا مع أبي سلمة، فبعثنا كريبا مولى ابن عباس، الى أم سلمة فسألها عن ذلك فقالت: ولدت سبيعة الأسلمية بعد وفاة زوجها بليال، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال «قد حلت» . قال الربيع، قال أبو عبيدة: وهذه رخصة من النبي ﷺ للأسلمية، وأما العمل ، فعلى ما قاله ابن عباس وهو المأخوذ به عندنا، وهو قول الله عز وجل في كتابه:

يشرح الشيخ ــ رحمه الله ــ هذا الحديث شرحاً طويلاً في خمس صفحات، يتعرض فيه لرواية البخاري ومسلم ، وأهل السنن، ولأقوال العلماء فيه، بما يدل على سعة اطلاعه، وتجرده في طلب الدليل المرجح، ويقول في أثناء الشرح: قال الربيع، قال أبو عبيدة: وهذه رخصة من النبي ــ ﷺ ـ للأسلمية، وأما العمل، فعلى ما قال ابن عباس، وهو المأخوذ به عندنا، وهو قول الله ــ عز وجل ـ في كتابه، وهو المنقول عن عليّ بن أبي طالب واختلف النقل في ذلك» عن ابن مسعود، وقال به محمد بن عبد الرحمن وابن أبي يعلى، ونقل عن سحنون أيضاً، قال ابن عبد البر: لولا حديث سبيعة لكان القول ما قال علي، وابن عباس، لأنهما عدتان مجتمعتان بصفتين، وقد اجتمعت في الحامل المتوفى عنها زوجها، فلا تخرج من عدتها الا بيقين، واليقين آخر الأجلين. قال المحشي، ولأن القاعدة أن الدليلين إذا كان كل واحد منهما عاماً من وجه؛ خاصاً من وجه، فانه يخصص عموم كل واحد منهما بخصوص الآخر عملاً بالدليلين معاً، قال: وهاهنا كذلك، فان قوله تعالى: ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ ظاهرها العموم في كل حامل فيخص بقوله

تعالى: ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ﴾ . وهذه الآية ظاهرها العموم في كل متوفي عنها زوجها حاملاً كانت أو غير حامل، فيخص عمومها بقوله : ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ . فلابد من وضع الحمل . وان زادت على أربعة أشهر وعشراً فقد عمل بالدليلين معاً، بخلافه على المذهب الآخر، فانه عمل فيه بعموم آية الطلاق فقط، واحتج لمذهب أبي سلمة بحديث الباب، فان دعوى الخصوصية محتاجة الى دليل، وأخرج أبو داود والنسائي ، وابن ماجة، وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وغيرهم، عن أبي مسعود أنه بلغه أن علياً يقول: «تعتد آخر الأجلين» فقال: «من شاء لاعنته» ، إن الآية التي في سورة النساء القصوى، نزلت بعد سورة البقرة، بكذا وكذا شهراً، وأخرج عبد بن حميد عنه أنها نسخت ما في البقرة وأورد ابن مردويه عنه انها نسخت سورة النساء الصغرى في كل عدة ... إلخ.

وقول أبي عبيدة ــ رحمه الله ــ : «هذه رخصة من النبي ــ ﷺ ـ للأسلمية يدل عليه ما في رواية الأسود، عن أبي السنابل أن النبي ـ ﷺ ـ قال لها: فانكحي من شئت، ولو رغم أنف أبي السنابل، وذلك أنه، لما ولدت سبيعة بعد زوجها، خطبها رجلان، أحدهما شاب، والآخر كهل، وهو أبو السنابل، فمالت الى الشاب، فقال أبو السنابل: لم تحلي بعد، وكان أهلها غيباً ورجا إن جاء أهلها، أن يؤثروه بها، فجاءت رسول الله ﷺ فقال: «قد حللت فانكحي من شئت» هذا يدل أن الترخيص كان لها لأجل ارغام أبي السنابل ولايشكل عليك خطبته اياها، قبل تمام أبعد الأجلين، لأنهما تأولا معنى قوله تعالى: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ . وقد تقدم القوم بعموم الحكم، وأنه غير مخصوص بسببية عند بعض الناس، أو أن القصة كانت قبل النهي عن الخطبة في

العدة، وقوله: وهو قول الله عز وجل في كتابه ، يشير بذلك الى قوله تعالى: ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ﴾ وقوله عز من قائل: ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ . فانه لابد من الجمع بين الآيتين، فان تقدمت الولادة قبل تمام الأربعة الأشهر والعشر. وجب الأخذ بآية البقرة، وان تأخرت وجب الآخذ بآية الطلاق، ولايصح الغاء أحد الدليلين، مع امكان الجمع بينهما، هذا وجه ما أشار اليه أبو عبيدة ـ رحمه الله تعالى ـ . والقائلون انها تحل بالوضع، اعتمدوا على حديث الباب، وجعلوه مبيناً للحكم. اهـ.

فأنت ترى الشارح ـ رحمه الله ـ يحرر المسألة تحريراً، ويبين وجوه الاستدلال، ويضع الأدلة بين يديك، ويترك اليك الاختيار في ترجيح أحد الدليلين على الآخر، وربما يصرح برأيه الخاص في القضية التى ترجع الى الرأي، فيقول بعد عرض أقوال من سبقه والقول عندي: كذا وكذا. وذلك كقوله في « شمس الأصول »:

ووجب القضا بأمر ثان إن فات أو فوته التواني
وقيل بالأمر الذي تقدما والأول الصحيح عندي فافهما

ويقول ـ رحمه الله ـ في « طلعة الشمس » في تعديل الرواة وتجريحهم في أثناء الشرح: «على أن أصحابنا ـ رحمهم الله ـ لم يشترطوا في تعديل الشهود وتجريحهم غير معدل واحد ، ومثله الراوي، لأنه أيسر حالاً منه، واشترطوا في البراءة، عدلين على الصحيح، فقولي في النظم:

« لكنه باثنين في الصحيح» ؛ مبني على ما اختاره البدر، تقليدا له مني، في حال النظم، وقد ظهر لك أن الراجح خلافه، والله أعلم.

وللشيخ ـ رحمه الله ـ نظرات صادقة في الفقه، وتجديدات منها إبطال

أذانين لصلاة واحدة الا صلاة الجمعة، ومنها إبطال الأوقاف الموقوفة ، لقراءة القرآن على القبور، وابطال القراءة في المقابر، ويستدل بفعل النبي ﷺ فيقول في الموضوع:

والمصطفى قد زارها وما قرا إلا سلاما ودعا وأدبرا

ويشير الى الأمور المبتدعة بقوله:

فبدلوا وياليتهم ما بدلوا ورسخت بقلب من لا يعقل

ومن «العقد الثمين»: من تجديده ـــ رحمه الله ـــ في أمر العقيدة، وتصفية الاعتقاد من شوائب الشرك:

س : وسئل ـ رحمه الله ـ عن المعظمين لأمكنة مخصوصة، عندهم ، كشجر، وعين ماء، ومسجد، وينذرون لها، ويقولون تضر، وتنفع، وتبلي وتشفع، ما حكمهم عند المسلمين اذا أصروا على ذلك؟ وهل يضر الزوجين سير أحدهما الى هذه المواضع، والتعظيم لها أو سار كلاهما ، وهل تحرم الذبيحة التي تذبح لها والطعام المصنوع لذلك؟

ج ـــ : فأجاب ـ رحمه الله ـــ : لانافع ولا ضار الا الله، فمن عظم شجرة ، أو عيناً أو قبراً، أو مسجداً، أو نحوها تعظيم النافع الضار، فهو عابد صنم، قد خرج عن الإسلام الى الكفر ، وحكمه حكم عبدة الأصنام إن لم يتب، وما أشركت الجاهلية إلا بمثل ذلك، كانوا يعظمون الحجارة، ومنهم من يعظم النار، كالمجوس، واعتقدوا ان ذلك نافع وضار، ومنهم من اعترف أن الأصنام لاتنفع ولا تضر، ولكن قالوا : ما نعبدهم إلا ليقربون الى الله زلفى، فهم يعبدون الأصنام، ويعتقدون أنها غير نافعة في ذاتها، إلا أنهم يرجون القربى بها الى الله، فلم ينفعهم ذلك، وحكم عليهم القرآن بحكم الشرك وكذلك حكم عليهم النبي ﷺ ومر رسول الله ﷺ على شجرة تذبح لها الجاهلية، وتعلق فيها جلود الذبائح، كما يفعل

بعض الجهلة اليوم، ويسمون تلك الشجرة «ذات أنواط» ، فلما رآها المسلمون، قال بعض ما لاعلم له منهم، يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فكبر ذلك على رسول الله ﷺ وأغلظ القول في انكاره وقال: «لتسلكن سنن من كان قبلكم حتى انهم لو دخلو جحر ضب لدخلتموه». يشير بذلك الى قصة بني اسرائيل حين مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فقالوا: (ياموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون) الآية . وما ذبح على هذا الحال كالذي ذبح على النصب، وهو الذي أهل به لغير الله، وذلك فسق، والله أعلم. اهـ.

فهو حقاً من المجددين الذين أرجعوا الى الفقه جدته ونضارته، ونقوا عنه الزيادات التي ألصقت به في عصور طغى عليها الانحطاط والتقليد، ولاتخلو من أهل التجديد ولكن لايسمع لهم العوام المفتونون بأهل الجمود، الذين تقدمت الإشارة اليهم في كلام الشيخ ـ رحمه الله ـ.

ولاتزال أنوار مدرسته المشعة مشرقة على أفكار أهل العلم والتحصيل، فجزاه الله خيراً، ونفعنا بعلومه، وبارك في تلاميذه، وتلاميذ تلاميذه حتى يمددوا اشعاعه، ويتموا احياء ما شرع في بعثه، من الاستنباط والتفتح والتجديد، ولا يسعني في هذه الالتفاتة الصادقة الى هذا النجم المضيء إلا أن أدعو الله أن يبارك لنا في آثاره، ويكثر فينا معشر أهل الاستقامة من أمثاله، وإني أوصي الأبناء المتعلمين أن ينهجوا نهجه، ويكرعوا من منهله الصافي، ويقتدوا بأخلاقه، ويلتزموا بسيرته وسيرة من سبقه من العلماء العاملين.

والله ولي التوفيق، ومنه العون، والتسديد، وعليه الاتكال وبه الاعتصام، وإليه المصير، وهو مولانا، فنعم المولى ونعم النصير، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

الكتـــــاب	المـؤلـف
تحفة الأعيان	الشيخ السالمي
جوهرة النظام	الشيخ السالمي
طلعة الشمس	الشيخ السالمي
أنوار العقول	الشيخ السالمي
مشارق الأنوار	الشيخ السالمي
كشف الحقيقة	الشيخ السالمي
شـــرح المسند	الشيخ السالمي
العقـــد الثمين	الشيخ السالمي
معارج الآمال	الشيخ السالمي